

# الدّساتُرُ الْعَرَبِيُّ وَالْأَسْلَاهِيُّ بِالْوَلَيَاتِ الْمُتَّحِدَةِ

يُقْرَأُ لَنْدُو  
الأَسْتَاذُ جِامِعَةُ فَرْنَسِيسِكُو  
تَعْرِيفٌ وَتَحْلِيلٌ لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ

يقيم الان بمراكن عاصمة جنوب المغرب الاستاذ روم لاندو Rom Landau الكاتب الشهير المعروف بوفرة تاليفه حول المغرب في العهود الأخيرة ، وخاصة بكتابه القيم حول جلالة محمد الخامس ، ومغرب ما بعد الاستقلال ، وقد التقى في الرباط محاضرة قيمة حول الاستشراق في الولايات المتحدة ، وقد تفضل جنابه فشخص المجلة بهذا البحث الذي تقدم عنه شاكرين هذا التحليل الصافي :

بالبحث في فرنسا او انجلترا معلم ذلك بباب  
رئيسية ثلاثة وهي :

اولاً : الفزو الاستعماري الذي جعل الانجليز والفرنسيين يوجهون عنابة كبرى الى معرفة العرب والمسلمين ، وقد استولوا على معظم بلادهم في القاراتين الافريقية والاسيوية ، فدرسوها تاريخهم وحضارتهم وديانتهم ولغتهم ، وتکاثر عدد المستشرقين فيهم ، وظهر الاعلام والنبياء ، الا ان معظمهم كانت لهم نزعات سياسية ، بينما لم يسبق للولايات المتحدة ان استولت على بلد عربي او اسلامي ، فلم تكن اذن في حاجة الى معرفة العالم العربي والاسلامي .

ثانياً : بعد أمريكا عن البلاد العربية والاسلامية ومدى اتساع الولايات المتحدة التي تقدر المسافة فيها بين سان فرنسيسكو ونيويورك بخمسة آلاف كيلومتر وهي تقرباً المسافة الفاصلة بين باريز وموسكو او بين نيويورك والمغرب الاقصى . فليس غريباً اذن ان يكون

استهل الاستاذ محاضرته متذرداً عن عدم امكانه مخاطبة الحضور المفاربة بلغة الضاد التي يقول عنها أنها أغنى وأقدم بكثير من اللغتين : الانجليزية والفرنسية ، وانها هي اللغة المختارة التي تحقق بها معجزة القراءان الكريم في عهد كان اهل انجلترا وفرنسا يتكلمون بلغات لهجات لم يكن في مستطاع مالرو او برناشاو ، ولا في مستطاع شيكسبير وفولتير ان يفهموا شيئاً منها . ويزيد هذه الفكرة تأكيداً فيقول : « انا نحن الانجليز والفرنسيين لسنا سوى اثرياء جدد » من الناحية الثقافية ، في حين انكم ( اي انتم العرب ) تتوفرون على لغة عريقة ، وقد ترک وجودها منذ القرن السابع الذي لم تكن تعرف فيه لا الفرنسية ولا الانجليزية » .

وبعطي بعد ذلك بياناً عن الصعوبات التي يعانيها الباحث الذي يدرس الاستشراق في الولايات المتحدة خلافاً لما يجده من السهلة وغزاره المادة متى قام

واذكر لكم ايضاً أثرور جفري (Arthur Jeffrey) الذي لقي حتفه منذ سنتين فيما اظن ، وكان استاذ اللغات الاسلامية بجامعة كلومبيا في نيويورك ، وقد ترك عن القراءان مؤلفات لا تخلو من الاهمية ، منها ترجمة لهذا الكتاب . الا ان اسم هذا الرجل يقى مجھولاً خارج اوساط المستشرقين . ومنهم ماك دونالد (D. P. MacDonald) الذي اهتم خاصة بدراسة علوم الدين والفقه دون القراءان . فالف الكثير في هذا المجال . كما نذكر في طبعة الذين تخصصوا في الشريعة الاسلامية بالولايات المتحدة مجید خدوری وهو عراقي الاصل وأمريكي الجنسية . قام بتأليف عدة كتب ، شخص بالذکر منها تأليفه عن الشافعی . ونشر أيضًا الى الدكتور شاخت (Dr Schacht) الذي نشط في البحث عن اصول الشرعية .

« وان انتس سالموني عن وجود علماء مستشرقين في مستوى الذين عرفناهم بفرنسا او انجلترا اجبتكم ببني وجودهم في الحالة الراهنة ، اذا كان تقصد الاساطيين والاعلام امثال الفرنسيين كارادوفو (Cara de Vaux) ودوسلان (De Slane) ومسنيون (Massignon) وهاري تيراس (H. Terrasse) ان شئتم لتضلله في تاريخ الفن المعماري ، وكذلك ليفي بروفانصال (Lévy Provençal) ، وامثال المستشرقين الانجليز كالسير هامتون جيب (Sir Hamilton Gibb) وهو من كبار المستشرقين المعروفين بالرصانة ، ونيكولسون (R. A. Nicholson) الذي امتاز باعظم مؤلف عن تاريخ الادب في العالم العربي ، ومنغري واطس (Montgomery Watts) الذي ألف كتاباً عن حياة محمد في مكة ، وآخر عنه في المدينة بصرف النظر عن مؤلفاته العديدة في علوم الدين والفلسفة ، وكذا الاندلس . ومن الذين اخضهم بالذکر في هذا الصدد صديقي الاستاذ اورييري (Arberry) الذي لم يسبق لغيره في تاريخ انجلترا ان جمع بين تدریس الفارسية والعربيّة ، وقد انفرد في جامعة كمبريدج بهذين الكرسيين ، منذ خمسة عشر عاماً ، وهو الذي اتحفنا بأبدع ترجمة انجلزية للقراءان ، كما نشر ايضاً اكثر من خمین كتاباً ، من بينها ترجمات جديدة لما خلفه عمر الخيام بالإضافة الى تأليفه عن التصوف وعن ابن الرومي والشافعی ، كما قام بترجمة شعراء المقرب في القرنين الرابع والخامس عشر وابن حزم والشعراء المحدثين المغاربة . « وهذه طبقة من المستشرقين لا وجود لها بمائتها الآن في الولايات المتحدة » .

الامريكيون قد جهلو حتى كلمة الاسلام الذي كانوا يطلقون عليه عبارة « المذهب المحمدي » . وحسب المواطن الامريكي ان يسمى لمعرفة عالمه الخاص الشاسع الاطراف وهو يتكون من ثمان وأربعين ولاية يختلف بعضها عن بعض في شتى النواحي .

اما فرنسا وانجلترا فهما رقمتان صغيرتان جداً بالنسبة لذلك العالم الجبار .

ثالثاً : اشتغال الولايات المتحدة باليابان والصين وروسية والمانيا . ويقول الاستاذ روم لاندو في هذا الصدد ان الصين وحدها لها جالية بسان فرنسيسكو ، اصبحت عبارة عن اعظم مدينة صينية تعرف خارج بلاد الصين ، بينما لا يكون العرب والمسلمون في الولايات المتحدة سوى اقلية ضئيلة جداً باستثناء الجالية اللبنانيّة التي استوطنت منذ امد بعيد هوليوود ولوس انجليس ، وقد تألفت بصفة عامة من عرب مسيحيين وانطبعت بطابع امريكي صرف ، فلم يتم افرادها من جراء ذلك بالدعایة للمروبة ولا للإسلام طبعاً كما يفعل الصالح بلادهم وتاريخهم وحضارتهم غيرهم من الصينيين واليهود والفرنسيين والالمان .

وبعد هذه المقدمة اشار الاستاذ روم لاندو الى انه قضى في التدريس بجامعة سان فرنسيسكو اربعة عشر عاماً ثم دخل الى صميم الموضوع فقال :

« لما وصلت الى سان فرنسيسكو لم يكن يوجد بها كرسي للتدريس خاص بالشرق ، وكان اذ ذاك في مجموع الولايات المتحدة عدد قليل جداً من الجامعات التي تهتم بالاستشراق . وقد ادهشني الاقبال على دراسة الاسلام وعلى محاضراتي التي كانت هي الاولى من نوعها في غرب الولايات المتحدة ، الواقع على ساحل المحيط الهادئ . وكانت محاضراتي في موضوع الاسلام والمغرب العربي . والحقيقة انه كان يوجد بجامعة برينستون وهارفارد وأربع او خمس جامعات اخرى كرسي للاستشراق ، وكان بعض الاساتذة يعتبرون في مستوى المستشرقين الانجليز او الفرنسيين .

« واني اشرع في الحديث عن المستشرقين بذكر الحقيقيين منهم ، اي الذين وجهوا عنایتهم خاصة للقراءان .

« ولعلمك تعرفون ليفي دولفينا (Lévi de Lavida) وهو من كبار المستشرقين الإيطاليين ، وقد اشتغل بما سموه نقد القراءان ، وفيه نقد سام ونقد بسيط ، يتعلق بالتعبير والأسلوب .

ومواد التعليم في الأقسام العربية بالجامعات الأمريكية هي العلوم السياسية والاقتصادية على وجه العموم ، علاوة على اللغة والتاريخ والفلسفة ، وكذلك الفنون ، وان كانت هذه الأخيرة تحصل في الحالة الراهنة مكانة تافهة .

وببناء على خبرته الواسعة في ميدان التدريس الجامعي بالولايات المتحدة ، يذكر الاستاذ روم لاندو ان طلاب هذه البلاد يتوقفون الى الفلسفة اليونانية والارسطواليية منها بصفة خاصة . وبما ان ابن رشد هو الذي يرجع له الفضل الاكبر في نقلها وتأويلها والتوضيح فيها فانهم يهتمون به اهتماما شديدا ، وهو الناقل المبقرى لعلم النطق ، وواضع الاسس العلمية الكبرى التي كانت سببا لانطلاق النهضة الفرنسية ، وقد تطورت اوروبا بعد ذلك حتى انجذبت نيوطون وآينشتاين . كما يهتم طلاب الولايات المتحدة ايضا بسائر مفكري الاسلام وعلماء الطب والرياضيات .

ثم يعود المحاضر الى التعليم الجامعي ويدرك ابرز الشخصيات في مجال الاستشراق .

فمنهم الاستاذ فيليب حتى (Philip Hitti) اللبناني الاصل الذي انشأ القسم العربي بجامعة برينستون ، وهي الجامعة الكبرى التي قضى فيها آينشتاين السنوات العشر الاخيرة من حياته . اما فيليب حتى فانه معروف بكثرة ما كتبه عن لبنان وتأليفه في تاريخ العرب العام .

ومنهم الاستاذ الامريكي كارلتون كون (Carleton S. Coon) الذي يشيد به المحاضر باعجاب كبير ، ويقول عنه انه شغل كرسى علم الآثار والانسان في جامعة هارفارد قبل ان يشرف على احد المتاحف الكبرى . ومن اهم مآثره ابحاثه القيمة وتأليفه العظيم عن البربر الذي يضمه الاستاذ روم لاندو في طبعة ما كتبه في هذا الموضوع العلماء الانجليز او الفرنسيون . وقد ألف كتابا آخر بعنوان « القائلة » تكلم فيه عن البربر وعن الفرس والاتراك واليهود .

ومنهم الاستاذ كويلر يونج (Cuyler Young) خلف الاستاذ حتى في جامعة برينستون ، وله دراسات خاصة عن تركيا .

ومنهم الاستاذ جورج رانتز (George Rentz) بجامعة ستانفورد الذي يتقن لغة الفداد اتفانا عجيبة وقد شارك في الموسوعة العربية بمقابل رائع حول جزيرة العرب . وتوجد في نفس الجامعة الدكتورة كريستينة هاريس (Dr Christina Harris) ولها اختصاص في المسائل المصرية .

ثم يواصل المحاضر عرضه عن تطور الاستشراق في هذه البلاد ، ويرکز الكلام على ما سماه بالدراسات « الاكديمية » ، فيذكر ان الولايات المتحدة قد انشأت كراسى لهذا النوع من التدريس في سبع عشرة جامعة، أشهرها : جامعة برینستون ، وشيكاغو ، وميشيغان ، وبالتيمور ، وبالخصوص هارفارد التي هي اقدم جامعة امريكية حيث انشئت منها سنة 1636 - اي بعد ان حل الانجليز بامريكا بست سنوات . وكان المشرف اخيرا على الاستشراق في هذه الجامعة الهاامة ، هو الاستاذ الانجليزي السير هاملتون جيب الذي لم يال جهدا في الاعتناء بنشر الثقافة والعلوم الاسلامية .

ومما يدل على هذا الاعتناء وكذلك على اقبال الامريكيين على الاستشراق ، ان السير هاملتون جيب طلب في سنة 1960 من الاستاذ روم لاندو ان يقدم من سان فرنسيسكو الى هارفارد لقاء محاضرة حول فلسفة ابن العربي ، فلبي الاستاذ الدعوة وقطع مسافة خمسة آلاف كيلومتر وتحدد امام عدد كبير من الاستاذة والطلاب المتقدمين ، ووجد من بين الحضور طائفة جاءت للاستماع والاستفادة من واشنطنون ونيويورك ، وقد نظمت بعد المحاضرة حفلة عشاء القيت فيها الخطب « ولم يكن هذا كله لا على شرف كارل ماركس ولا شوبنهاور ولا ديكارت ولا افلاطون ، وانما كان على شرف فيلسوف يجهله المسلمون انفسهم على وجه العموم (كذا) » .

وبالاضافة الى الجامعات السبع عشرة المذكورة اشار المحاضر الى جامعة هارتفورد وهي مؤسسة دينية قديمة تمتاز بما تقوم به من النشاط في ميدان المقارنة بين الاسلام والمسيحية . كما لفت الانتباه الى وجود قسم عربي في جامعة ماكسوال ولاية الاباما وهي مؤسسة انشئت في قاعدة خاصة للطيران ، وذلك زيادة على ما يوجد في الولايات المتحدة من مدارس عسكرية تقرر تعليم العربية فيها بمدرسة مووري بكاليفورنيا وغيرها . اما خارج الولايات المتحدة فقد است منذ قرن جامعة امريكية هامة في بيروت ، واخرى في القاهرة ، وثالثة في مدينة طنجة بالمغرب منذ ثلاث سنوات ، يقضى فيها الدبلوماسيون الامريكيون عاما او عامين ، وهم يعملون ستة أيام في الاسبوع ، وثمان ساعات في كل يوم .

ثم ان الحكومة الامريكية جادة في العمل على تشجيع دراسة اللغة العربية في المستوى الجامعي ، فيبلغ عدد المنح الخصصة لذلك حاليا 900 منحة ، ولم يعرف لهذا القدر سابق .

ومنهم الاستاذ فائز الصايغ الذي الف كتب  
عديدة في مواضيع سياسية عربية .

اما المصنفات التي نشرت باللغة الانجليزية في الولايات المتحدة ، فنذكر من بينها مقدمة ابن خلدون في ثلاثة اجزاء ، ورحلة ابن بطوطة ، وغير ذلك من التاليف التي لفها بعض المحدثين امثال طه حسين وعلال الفاسي الذي ترجم كتابه في « تاريخ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي » وادريس الشرايبي الذي ظهرت طبعة امريكية لقصته الفرنسية « الماضي البسيط » ومحمد اقبال الفيلسوف الباكستاني الشهير الذي يتمتع بنفوذ كبير في اوساط المستشرقين .

واما كتب خليل جبران فانها نقلت الى اللغة الانجليزية ولقيت اقبالا عظيما بحيث أصبحت تباع بمئات الالاف ، ولا سيما كتابه المشهور الذي صدر تحت عنوان « النبي » .

وهناك كتب اخرى الفت حول المغرب العربي الا ان معظمها يمتاز بصفة سياسية ، ونذكر من بين مؤلفيها السادة : دوكلاس اشфорد (Douglas Ashford) وشارل كالاغير (Charles Gallagher) ولوRNA هاين (Richard Brace) وريشار برايس (Lorna Hahn) وداود كوردون (David Gordon) وشارل ستيفوار (Paul Bowles) وبول باولس (Charles Steward) وهو أمريكي يقيم بمدينة طنجة ، وقد نشر عدة قصص تتعلق بالمغرب والجزائر .

واخيرا اشار الاستاذ روم لاندو في محاضرته المتمعة الى المراكز والأندية الاسلامية التي يقول عنها انها تركزت في نحو عشرين مدينة امريكية ، وان المتربدين عليها من مسلمين وغيرهم من الدين اعتنقوا الاسلام ينظمون الحفلات الدينية والمحاضرات ، كما يقيمون الصلوات في مساجد شيدت لذلك ، ومن بينها خصوصا مسجد واشنطنون الذي يمتاز بسعته واناقته وابنته .

ومنهم الاستاذ الكندي كانتول سميت (Cantwell Smith) وهو مشتغل في جامعة برينستون بدراسة الاسلام في الباكستان .

ومنهم غوستاف فون كرونبوم (Gustave von Grunebaum) وهو يهودي ماني يشقق في جامعة كاليفورنيا بلوس انجليس كرسى اللغة العربية .  
ومنهم ويليام يال (William Yale) وسيدني فيشير (Sidney Fisher)

وفيما يخص خزانات الكتب فان الولايات المتحدة ثروة تضاهي ثروة استانبول و مدريد ، ويوجد اهمها بجامعات برينستون وهارفارد وبريس ، وهي غنية بالمخطوطات النفيسة والنادرة الوجود .

ومن جملة ما ينشر في الولايات المتحدة مجلتان لا تقلان اهمية عن المجالات الانجليزية والفرنسية : احداهما ذات صفة سياسية يصدرها واشنطنون معهد الشرق الاوسط اربع مرات في السنة وهي ، وان كانت تحمل عنوان « مجلة الشرق الاوسط » فانها تشمل العالم العربي كله بما تدونه عنه من الاخبار التي تكاد تكون يومية ، الى جانب ما يأتي فيها من نقد للكتب المتعلقة بالاستشراق .

والثانية مجلة « العالم الاسلامي » التي تصدر في هارتفورد ، ولها صفة فلسفية ودينية .

ولقد عرفت الجامعات الامريكية طائفتين من الاساتذة والكتاب العرب الذين استوطنوا الولايات المتحدة واتخذوا الجنسية الامريكية ، منهم الاستاذ خدورى العراقي الاصيل ، والاستاذ حتى اللبناني ، اللذان سبق ذكرهما .

ومنهم الاستاذ شارل عيسوى بجامعة كلومبيا في نيويورك ، والعرacıي السيد محمد المهدى الذي كان يدرس اللغة العربية في سان فرنسيسكو ، وهو الان مشتغل بالقضية الفلسطينية التي يعد أحد زعمائها في امريكا .

ومنهم الاستاذ الهواري السوري الذي يعمل بجامعة آن اربر (Ann Arbor) بولاية الميشيغان ، وقد قام بابحاث قيمة حول الفزالي .